أي باختصار نجد « الفلاح الفاهم » يستعد لاستقبال أحداث ليس هو صانعها ، وانما هو المستفيد منها .. وعندما تقع ، عندما يسقط المطر لا يكون ذلك مفاجأة له . ولا سببا في ارتباكه ..

واقعنا أيضا مليء بالامثلة .

لا بد وأن يؤدي تصاعد عمليات الثوار الى تصعيد عمليات العدو لمواجهتها ، والى أن يلجأ العدو أيضا الى توسيع رقعة ضرباته بحيث يحاول الوصول الى منابعنا أي الى جماهيرنا ليرعبها . لذا فان هذا التوقع يحتم الاستمرار في عمليات التحصين وبناء الملاجىء ، وتدريب القادرين على القتال على الدفاع عن المخيمات والاحياء ..

كما ان مستقبل الصدام مع العدو الصهيوني يحمل في طياته حتما توسيع رقعة الصدام معه أرضا او جماهير او الاثنين معا .. هكذا تؤكد دراستنا لطبيعة العدو العدوانية التوسعية ، وأيضا لحتمية تصاعد النضال القومي العربي ضده .. ان ادراك هذه الحقيقة لا يجعلنا نستعد لملاقاة العدو في خارج الارض المحتلة حاليا فحسب ، وانما أيضا توجب على قوى الثورة المنظمة أن تبني جسورها النضالية فيما بينها مشكلة جبهة مقاتلة جماهيرية واحدة ضده(٦) . ان ادراك هذه الضرورة في وقت مبكر والعمل على بناء التنظيمات التي تحققها وتجسدها بشكل جماهيري وفعال كان من الممكن أن يستفيد بشكل كبير من الموقف الجماهيري العربي العام الذي رحب بالحرب ورفض وقف اطلاق النار ثم لم يجد من يعبر عنه بالارادة المنظمة .

والتناقض بين حرب الشعب وبين « حرب النظم » ، وان يكون داخل « مسار » واحد للحركة القومية التاريخية الا أن ذلك لم يمنع ولن يمنع من الصدامات المتوالية بين « النظم » وبين « الحركات المنظمة جماهيريا » . ذلك ما ينبىء به اتجاه الحركة التاريخية **وما يوجب على الثوار أن يحرصوا بأستمرار على « حريتهم » في التحرك وعدم الوقوع في شراك « الترويض » الرسمية الحكومية ، او الانكشاف أمنيا لاجهزة النظم المختلفة مع ضرورة الاحتفاظ على الدوام باحتياطي معد سلفا للاستمرار بالقتال ضد العدو الصهيوني حتى في حالات تنجح فيها النظم في تقييد حرية ما « تراه » من التنظيم او تكتشفه أو تتعاون معه في مرحلة ما أو تسمح له بالنشاط رغما عنها .**

الامثلة عديدة كما قلنا . ويكفي أن يستعرض المرء الاحداث التي فاجأتنا ، والفرص التي أفلتت من أيدينا ، ليتضح له الفرق بين أن يكون « المارس » واعيا بمسار الحركة التاريخية ، وبين ان يواجه الحدث برد الفعل وهو مفاجأ ...*

وقبل أن نصل الى تحديد موقع « الحرب الرابعة » على مسار الحرب القومية العربية التاريخية سنحاول أن نرسم مسار هذه الحرب انطلاقا من فلسطين ، باعتبارها كما ذكرنا من قبل ساحة الصدام العربية الرئيسية مع كافة أشكال القهر الاستعماري .

فلسطين ، والابعاد الثلاثة :

تنقسم الحركة التاريخية الى مراحل تاريخية ، تتوالى ، كل منها أرقى من سابقتها وتحمل بقاياها ، وتولد من داخلها التي تليها . وتستمد كل مرحلة طابعها من النقيض الرجعي المسيطر والذي تصارع ضده القوى الموضوعية الناهضة ، صاحبة الحق

---

* تعتبر تجربة « الاشبال » في الثورة الفلسطينية مثلا رائعا للاستعداد النضالي والسياسي في مجرى الحرب الشعبية طويلة الامد . ففضلا عن كونها تذكر دوما بطول الطريق فانها تعد ومنذ وقت مبكر اجيالا من الثوار يتولون المسئولية في الوقت الملائم .